

٢ - عمر بن الخطاب *

للأستاذ علي الطنطاوي

- ٦ -

كان المسلمون في مكة - فكانت الخصومة بينهم وبين الكفار من قريش - خصومة فردية . شخص بناوى شخصاً ، وجماعة تقاتل جماعة . فلما كانت الهجرة واستقر الاسلام في (يثرب) وفشت له صدرها ، وقدمت لنصرته أبناءها وفلذات كبدها ، استحالت الخصومة إلى شبه (خلاف دولي) بين القرشيين المقيمين على الشرك ، العاكفين على الاصنام ، المدافعين عن الباطل ، وبين أهل (المدينة المنورة) بنور التوحيد - (أنصار) الاسلام وحماة الدين ، وجنود الله ؛ واتسع الخلاف وخاب مع الكفار المنطق وتعذر الصلح ولم يبق بد من الحرب

ومهما يقل اليوم (دعاة السلام) في شناعة الحرب ويصفوا من أهوالها وينفروا منها ، ومهما يؤلفوا في ذلك من كتب ويصنفوا من أصناف ، فإن مما لا ريب فيه أن هناك (حرباً مقدسة) مشروعة فاضلة ، هي الحرب التي تشب نارها دفاعاً عن الحق وذباً عن الفضيلة وتأديباً للجرمين . . . ومن ينكر على الجند أن يحاربوا اللصوص والمجرمين ، ومنعهم أن يعيشوا في الأرض فساداً ؟ ومن يمنع القاضي أن يقتل القاتل ليشتري بموته حياة أمة ، ويحبس الجاني ليضمن بحبسه حرية شعب ؟

كذلك كانت (معركة بدر) حرباً مقدسة ، أثرت من أجل الحق والفضيلة والسلام والاسلام . . . فشنت إلى بدر (عصابة المجرمين) من قريش ، مزهوة زهو اللصوص ، شاحخة بأنافها - شموخ القتلة ، مستكبرة استكبار قطاع الطرق . . . ومشت فرق الجنود المسلمين متواضعة لله خاضعة له . لا قوة لها إلا قوة الحق ، ولا سلاح إلا سلاح الايمان ، ولا غرض لها إلا تطهير الأرض من أدران الشرك واوضار الظلم ومحو الارستقراطية السخيفة العاتية . .

والظلمات ترقبها في الشفق والغسق ، الخافقة مع الهبوات والنسمات ترصد فيعلمها في المدّر والوبرّ والدوح والورق ، النائمة في حضن جبل أو على ذراعى موجة أو في عين نجم ، أو في عُش . أو على زهرة متضورة نقطها الندى ، أو في ناي راع ، أو في قبر مهديم متفرد !

يا أم الفطرة ! أريد أن أقبض قبضة من ذراتك البسيطة التركيب ، البريئة من الدنس ، المطهرة من الرجس ، فأحصب بها وجوه المصانع وناطحات السحاب لعل أحجارها تذكر المهدي الأول فتزعي ذممه ، وتوشج رحمه ، وتزيح عنها دخان البارود لترى السماء وتسمع خبرها . . .

يا أم الفطرة ودينها ، انبهاك ترك عقل و محمد ، في حيرة غداة شب عن الطوق يرعى ، ومجالى الفتنة والروعة فيك نادته إلى العزلة في شعفة من شعفات جبالك يسأل الدنيا عن سرها وأزلها وأبداها وملئها ونحلها حتى حدثته السماء خبرها ، ولم ينزل خبر السماء إلا فيك أو على حوافيك ، لأنك القدس والمظهر ، تسجد الطبيعة فيك بالاصباح والإسماء ، والنجوم والجبال والشجر والدواب . . . وإن أهل الأرض مدينون لك بالظل الذي يحدون برّده على قلوبهم وامتداده على أرواحهم ؛ ولقد نشرت وكتابتك ، على الدنيا مرة فطبت كتائبه على الآفاق كلها ؛ ولكن رُكّما من الغيوم يكاد يخفيها ، فأرسل رياحك الحارة تذيب الركام وتجلو كلمات النبوة . . تريد الأرض موجة جديدة منك أيتها الصحراء ، فاهتزي !

ضَحِكْتَ بِالْقَتَادِ وَالْأَشْوَاكِ ضَحِكَةً خَلَّتْهَا بِشَاشَةٌ بَاكِ
أَرْسَلْتَهَا فِي الصَّمْتِ هَمْسًا وَلَكِنْ رَنَّ فِي مَسْمَعِي صِدَاهَا الْخَاكِ
فَرَحْتُ بِالرَّبِيعِ دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ ضُ وَليدا يَشِيرُهَا لِجِرَاكِ
فَرَشْتُ فِي طَرِيقِهِ الشُّوكَ وَالْحَمَّ ضُ وَوَشْتُ رَمَالَهَا بِالْأَرَاكِ
عَجَزْتُ أَنْ تَجَارِيَ الْخَنْصَبَ بِالْحَبِّ (م) وَفَرَشْتُ الرُّمَى وَنَفَحْتُ الزَّوَاكِ
فَأَنَالَتْ جُهْدَ الْمَقْلُ ، وَمَا يُطْلَبُ مِنْ عَاجِزٍ بُلُوغُ السَّمَاءِ

عمر النعمم معروف

القاهرة

- ٧ -

وسمت منزلة عمر في الاسلام . فلم يكن فوقه إلا الصديق الأعظم . وكان عمر بطل الدعوة وفتاها وحارسها . ثبت مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في أحد ساعة اضطراب الجيش وفداه نفسه ، واختاره صلى الله عليه وسلم ليحيب أبا سفيان باسم الاسلام ، فأجابه جواب القوى الظاهر ... حسب أبو سفيان أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) قد قتل . وقتل صاحبه ، واستراحت قريش من هذه البدعة فهي ذاهبة إلى حلقاتها حول الكعبة - التي تحدد بها الاصنام - تتحدث حديثها وترويها ابتداءها ليعتبروا بها فلا يحاولوا الخروج عما ألفوا عليه آباءهم ... حسب أبو سفيان أن الاسلام أثبت من الأرض ، وأخذ من الزمان ، وأنها تزول السموات والأرض ولا يزول ، فاهتبل ، وما هذه الأباطيل ؟ - أطلعة من الحجر وفلذة من المعدن ، تصنعها يدك ، وتدوسها برجلك ، تسويها برب العالمين ؟ ما هذا العقل يا أبا سفيان ؟

كانت أحد فكان عمر عظيماً ظافراً فيها . كما كان في بدر وهما لعمري سواء ، ما غلب المسلمون في أحد . وما غلب فيها المشركون ... ذلك أنهم ما ساروا خمسمائة كيل ، من مكة إلى المدينة ليصبح قائدهم : اعل هبل ... اعل هبل ... ثم يرجع من حيث جاء ، ولكن ساروا ليفتحوا المدينة ، ويقتلوا محمداً ، ويحتشوا الاسلام من أصله ، فكيف يدعون المدينة وما بينهم وبينها إلا مسيرة نصف ساعة ، وما فيها حامية تذكر ولا يدخلونها ولا يحتلونها ولا يغيرون عليها فينبهونها ؟ وكيف ينظر قائدهم العام محمداً صلى الله عليه وسلم وصحبه وهم قواد العدو ، ويكلمهم ويحادثهم ولا يقتلهم ولا بأسرهم ، وهو ظافر بهم ظاهر عليهم ؟ وكيف يعد جيش المسلمين منهزماً ، وقواده ثابتون ، وضباطه مستقرون في أماكنهم ، وقلبه باق ورايته مرفوعة ؟

أما إن الحق أن جيش المسلمين ، قد اضطرب بعد أن غادر الرماية أماكنهم ، وأغار عليه خالد - قائد فرسان المشركين ، وانهمزمت بعض فرقته ، مذعورة خائفة - ولكن القادة ، وفرق القلب بقيت ثابتة في أماكنها . تمنع العدو من الوصول إلى

والتقتا في (بدر) - فالتقى الحق بالباطل - والنور بالظلام ، ووقف الجنود والحراس وجهاً لوجه ... ووقف التاريخ على الطرق يرقب النتيجة - فاما أن ينتصر المسلمون فيمضي صدأ ويرقى في مدارج العلاء متوشحاً بوشاح الحضارة ، وإما أن يندحروا فيندحروا إلى الهاوية ... فلم ينجل الغبار حتى خرجت راية محمد (صلى الله عليه وسلم) خفاقة منصوره وخرج البصوص بين قتيل ملق للسباع والطير قد خسر الدنيا والآخرة ، وأسير في عنقه حبل يساق إلى (المحكمة)

وانعقدت أشرف محكمة وأعدلها - برئاسة سيد العالم - وأفضل الدينين (صلى الله عليه وسلم) وعضوية شيخى المسلمين ، وخليفتي النبي الأمين - الصديق والفاروق - وكان في كرسى (النيابة العامة) شاعر الاسلام ، وعلم الانصار ، البطل الشهيد : عبد الله بن رواحة ...

وافتححت الجلسة ... وثبت الجرم . وكان (جرماً مشهوداً) وطلب - (النائب العام) أن يعود المتهمون على حياة جهنم التي كذبوا بها ، وأقدموا عليها - فيكون جزاؤهم جزاء نارياً : يلقون في وادٍ كثير الخطب - ثم يضرم عليهم ناراً

دخلت المحكمة (للذاكرة) فسأل الرئيس الأعضاء آراءهم ، فلان أبو بكر (أرحم الأمة بالأمة) ورأى أن تؤخذ منهم الفدية فتكون قوة للاسلام ولا يقتلوا لأنهم بنو العم والعشيرة والاخوان ، وخالفه عمر (أشد الناس في دين الله) وطلب (إعدامهم) جميعاً : هؤلاء أئمة الكفار وصناديدهم وقادتهم ؛ إنهم يعترضون سبيل الدعوة الجديدة - إنهم قطاع الطريق - فيجب أن تسلم الطريق إلى الله - يجب أن تمضي الدعوة في سبيلها - آمنة مطمئنة

وسكت صلى الله عليه وسلم - ووازن بين الرأيين - ثم نطق بالحكم فكان كما رأى أبو بكر ...

غير أن الحكم قد (استوقف) ونزل (الاستئناف) من السماء : « ما كان لِنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض . تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم فيه عذاب عظيم ،

سبحانه وتعالى ، كما سبق له أمثاله ، وقد كانت طاعته للنبي صلى الله عليه وسلم معروفة ، وكان يؤثر رضاه على رضاه ، ولقد أقسم عمر - باراً - أن إسلام العباس يوم أسلم كان أحب إليه من إسلام أبيه الخطاب لو أسلم ، لأن إسلام العباس أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من أهله وولده ، ومن نفسه التي بين جنبيه

- ٩ -

أنجز الله وعده ، فظهر الإسلام وغلب وعم الجزيرة ، ودان له العرب كلهم ، واجتمعوا في عرفات ، في المؤتمر الأعظم ، فأنزل الله آخر آية من القرآن ، آخر مادة من الدستور الخالد : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، فاحتفلوا بكال الدين ، وتام النعمة ، وقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً مودعاً ، وأعلن (حقوق الإنسان) كاملة : الحرية والعدالة والمساواة .

وعاد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلم يلبث أن مرض -

جزع الصحابة ، وشغلهم مرضه عن أولادهم وأنفسهم ، فكانوا لا يهناون بمنام ولا يسيغون طعاماً ، ولا يقبلون على عمل ، ولا يرون وجه الدنيا قلقاً عليه صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يودون لو يفتدى بكل مافي الأرض من شيء ليفتدوه ، وكانوا يسألون عنه في كل ساعة ولحظة ، ويعلمون عليه . فلما قيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم طارت العقول ، وخفت الأحلام ، وزلزل الناس زلزالاً شديداً ، وأصابهم حيرة وعراهم ذهول ، فلم يدروا ما يصنعون ، وكانت ساعة من يوم الحشر . ولا عجب فقد كانوا أمواتاً قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان الرسول مطلع حياتهم ، وأول دنياهم ، فلم لا تكون وفاته خاتمة الحياة ، وآخر الدنيا ، وأن يكون يوم قبضه كيوم القيامة ؟ وجزع عمر وهزت الرزية نفسه ، وغلبه حبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستطع أن يتصور أنه قد مات ، ولم يقدر أن يتخيل الحياة بدونه ، فهو أساسها ومصدرها ، وهو شمسها المنيرة ، وهل حياة من غير شمس ؟ وهو روح هذا

المدينة حتى يس فارند على أعقابهم من حيث جاء ، ونجح الجيش الإسلامي في خطته الدفاعية نجاحاً باهراً ، ذلك أن الجيش الإسلامي كان مدافعاً ، وأكبر نصر يناله الجيش المدافع ، هو أن يرذ العدو وينفذ الوطن . وهذا ما قام به الجيش الإسلامي على أتمه ولكنه خسر كثيراً من الضحايا ...

فمركة أحد إذن نصر للإسلام ، وعمر من أعلام هذه المعركة وأبطالها

- ٨ -

واقراً (السيرة) كلها ، فهي سيرة عمر - وإذا لم يظهر اسمه في كل موطن - ولم يبد ذكره في كل موقع - فلأن النبي صلى الله عليه وسلم شمس تسطع في سمائها - فتكسف النجوم مهما كانت وضاء متلاثة

على أن عمر رضي الله عنه لقوة شخصيته ومضاء عزيمته لا يكاد يخفى ، فقد كان يمثل الجانب القوى المغامر الطامح ، من الجبهة الإسلامية ، لا يرضى بالهواذة ، ولا يعرف اللين ، ولا تأخذه في الله شفقة ولا ملامة

كان يأبى أن توقع معاهدة الحديبية ، ويلح على النبي صلى الله عليه وسلم أن يعمد إلى الحرب : ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار ؟ فعلام نعطى الدنية في ديننا ؟

فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابن الخطاب ! إني رسول الله ، ولن يضيعني الله أبداً

فيشتد عليه الأمر . ويضيق به صبره ، فيذهب إلى أبي بكر وقد عجز الصحابة كلهم عن احتمال المحنة - إلا أبا بكر . فيقول له : يا ابن الخطاب . انه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً ...

فلا يقنع عمر ولا يرضى ، ولكنه يسمع مكرهاً ويطيع ، حتى إذا مرت الأيام ، ووضحت حكمة النبوة ، وكان الفتح ، أدرك عمر سمو رأي النبي صلى الله عليه وسلم ، فما زال يتصدق ويصوم ويصلي ويعتق ، مخافة كلامه يومئذ ، حتى رجا أن يكون خيراً . على أن عمر لم يعارض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعصه ولكنه رأى رآه واجتهاد اجتهده : فكان يأمل موافقة ربه



المرحوم محمود ساي البارودي باشا



المرحوم اسماعيل سبري باشا



المرحوم حفي ناصف بك



المرحوم حانظ ابراهيم بك



المرحوم احمد شوق بك

بمحدثكم عن لؤلؤة دشت دار المصرية وغيرهم
الكاتب الكبير الاستاذ
عباس بن محمود العقاد
في كتابه الجديد
شعراء مصر
رئيساً لهم في الجيل الماضي

يطلب منه الناشر مكتبة النهضة المصرية - ١٥ شارع الميمنية
تليفون ١٣٩٤ - ١٥ - ٦ فروع في مختلف ارجاء مصر

الكون ، وهل يعيش جسم بلا روح ؟ ولم
يطلق أن يسمع أنه قد مات ، فوثب مختطاً سيفه ،
تنطقه عاطفته ، وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، يمنع الناس أن يقولوا : مات رسول الله
انه لم يمت ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى
ابن عمران وقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم
رجع اليهم ، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما رجعت موسى ، فليقطعن أيدي رجال
وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات !

وكان أبو بكر رضى الله عنه غائباً في منزله في
السُّخ ، وكان أبو بكر العقل الثابت الذي لا تقلقه
الحادثات ولا تحركه النوائب ، وكان عمر يومئذ
القلب الحساس الذي يفيض بالعاطفة وينشق
بالشعور ، فلما قدم دخل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقبله ثم خرج وعمر يتكلم ، فاستنصته
فلم ينصت ، ومضى يتكلم ، لا مخالفة لأبي بكر ،
ولكن الحس الذي طغى على نفسه ، والحب الذي
غمرها لم يدع فيها سيلاً لغيره . . . حتى إذا تكلم
أبو بكر فقال كلمته العظيمة :

أيها الناس : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد
مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ،
وتلا قول الله عز وجل :

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله
الرسال ، أفان مات أو قتل انقلبتم على
أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر
الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) وسمعها
عمر ، أفان كن استيقظ من حلم ، فرأى أنه كان
مخطئاً ، وتحقق الرزية وأدرك أنه لن يرى بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخارت قواه ولم
تحملة رجلاه ، فسقط على الأرض

دمشق : على الطنطاوي